# التحليل النفسي لدى النقاد المغاربة ابن شرف القيرواني–أنموذجا–

**جدي وليد[1] أ. د فارس لزهر[2]**

**1-** كلية الآداب واللغات، جامعة ، الشيخ العربي التبسي – تبسة، oualid.djedai@univ-tebessa.dz

**2-** كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة جامعة الشيخ العربي – تبسة، fares_lazhar@yahoo.com

**تاريخ الإيداع:** 2019/12/03 **تاريخ المراجعة:** 2020/02/26 **تاريخ القبول:** 2020/06/24

**ملخص**

*يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الوعي الابستيمولوجي لدى الناقد العربي قديما لا سيما المغربي، والذي يمثله الناقد ابن شرف القيرواني في تقديمه صورة ناضجة لمحاولة التفسير النفسي للأدب أثناء محاورته الجريئة لأعمال شعراء كبار بدءا بامرئ القيس مرورا بزهير بن أبي سلمى فالفرزدق وسحيم. ناقضا ما تواضع عليه النقاد من قبله من أحكام أصبحت مع تعاقب الأزمان قانونا لا يُزاغ عنه، ليكون من جملة ما قدم تصورا صريحا لما أفضت إليه أبحاث علم النفس الحديث في نظرته إلى الأبعاد النفسية للإبداع.*

***الكلمات المفاتيح: ابن شرف، تحليل، نفسي، نقد، المغرب.***

## *Psychological Analysis in Critical Maghrebians*
## *Case tudy of Ibn Sharaf Al-Qayrawani*

***Abstract***

*This research aims to reveal the epistemological consciousness of the former Arab critic, in particular the Maghrebian, represented by the critic Ibn Sharaf Al-Qayrawani by presenting a wall chart of the attempt at psychological interpretation of the literature during the daring dialogue of works great poets beginning with Emre Al-Qais passing through Zuhair bin Abi Salma, Farruzek and Saheem. Contradicting the prejudices of the critics before him, it is part of what has provided a frank picture of the results of research in modern psychology in his vision of the psychological motivators of creativity.*

***Keywords: Psychological, analysis, Ibn Sharaf, Maghreb, critic.***

## *Analyse psychologique chez les critique maghrébins*
## *Cas d'Ibn Sharaf Al-Qayrawani*

***Resumé***

*Cette étude a pour but de démontrer le rôle qu'a joué Ibn Charaf Al-Quayrawani dans la critique arabe ancienne notamment la critique maghrébine. L'effort d'Al- Quayrawani s'inscrit dans les premiers essaies en psychanalyse littéraire en analysant les oeuvres des grands poètes arabes anciens comme Imrou'ou Alquays, Zouhayr Ibn Abi Soulma, Al-Farazdaq et autres. Ainsi, Al-Quayrawani a dépassé les règles que les critiques arabes suivaient à la lettre avant lui, et a participé aux analyses des œuvres littéraires qui ont abouti à la psychanalyse moderne de la littérature.*

***Mots-clés: Analyse, psychologique, Ibn Sharaf, critique, magrib.***

**المؤلف المرسل:** وليد جدي، oualid.djedai@univ-tebessa.dz

**توطئة (مقدّمة):**

العنصر النفسي أصيل بارز في العمل الأدبي. وإذا نحن اعتبرنا أن العمل الأدبي، هو: التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية وجدنا أن العنصر النفسي بارز في كل خطوة من خطواته. فالتجربة الشعورية ناطقة بألفاظها عن أصالة العنصر النفسي في مرحلة التأثر الداعية إلى التعبير [(1)] من هذا المنطلق يحاول البحث أن يكشف مدى تشبع الفكر النقدي العربي القديم بالروح العلمية واستكناه أسرار النفس البشرية، ومحاولاته استجلاء حقيقة الإبداع التي كانت ولا تزال محط تحقيق وتنظير لا ينقطعان.

وقد كانت تعليقات ابن شرف وآراؤه في شعراء كانت لهم اليد الطولى على غيرهم، كامرئ القيس، وزهير والفرزدق، والتي تنم في مجملها عن وعي عميق بأسرار النفس البشرية وقدرتها عل الإبداع مناطا لنطرح مجموعة من التساؤلات:

– هل عرف النقاد العرب القدماء النقد النفسي؟ هل حاولوا تطبيقه على النصوص القديمة؟– وهل تلك اللمحات والإشارات العابرة في ثنايا مؤلفاتهم توحي أنهم امتلكوا ناصيته ولم يكن بدعا من الفنون؟– وهل يمكن إرجاع الأبحاث النفسية الغربية الحديثة إلى مضان عربية أخذا أو اتفاقا؟

ولأجل ذلك اتبعت خطة استحضرت في أولها أقوال الغرب المحدثين ثم عرجت على ما قدمه النقاد العرب القدماء في مجال التحليل النفسي المتمثل في تلميحاتهم المبثوثة في ثنايا كتبهم، حتى نميز ما ائتلف واختلف بين الحضارتين، ثم خصصت ما تبقى من البحث للجانب التطبيقي، عارضا فيه لأهم التقاطعات بين التحليل النفسي الحديث وما قال به ابن شرف القيرواني في مؤلفه مسائل الانتقاد الذي اتخذته عينة للبحث.

ولعل هذا الباب لم أكن أول طارق له إذ وجدت دراسات جادة أسهمت في إخراج النقد المغربي من الحجر المفروض عليه من قبل المشارقة، أبرزهـــا:

– تاريخ النقد الأدبي عند العرب. نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري إحسان عباس: يعتبر هذا المؤلف من أهم ما أنجز من أبحاث في تاريخ النقد العربي عامة إلا أنه اتسم بدياكرونية صرفة. واختزلت العديد من العصور والأسماء اللامعة في سماء النقد، ولم توفهم حقهم من الدراسة سوى ما كان من شذرات حكمية عامة. على ما تميز به الباحث من ألمعية وحسن فهم، غلب عليه الإيجاز.

– النقد الأدبي القديم في المغرب العربي: نشأته وتطوره: محمد مرتاض: تناول هذا الكتاب– الذي هو في الأصل رسالة دكتوراه– نشأة النقد في بلاد المغرب، وضمنه صاحبه فصلا للتفسير النفسي عند ابن شرف والقاضي عياض.وهذه هي الالتفاتة الأولى لهذا الجانب الهام من النقد، إلا أن عمله غلبت عليه النظرة الاستعلائية إذ حاكم المؤلف الناقدين بما تمليه ظروف العصر الحالي التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تتخذ مطية للحكم على عمل مغرق في القدم. يقول مرتاض: "هكذا يبدو ابن شرف بعيدا في تصورنا على الأقل، عن السر الذي جعل امرأ القيس يتذلل في مراودة صاحبته لأنه يخلط في الطبقة الاجتماعية، فلا يفصل بين ميلان الشخص بصفته إنسانا مولها مستعدا للتنازل عن كرامته أو تعاليه إزاء من كان موريا من حبها[(2)]

النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي: أحمد يزن أَرَّخَ هذا المؤلف للنقد المغربي ساردا جامعا، خاليا بحثه من لمسه إبداعية تكشف الوثبة التي عرفها النقد المغربي.

القضايا النقدية في كتاب مسائل الانتقاد: مصباحي فايزة رسالة ماجستير جامعة تيزي وزو 2012 تناول البحث النقد النفسي لدى ابن شرف في المبحث السادس من الفصل الثاني وقد جانبت الصواب في استقراء كلام

الناقد فأولته على غير وجهه إذ جعلت مرجع الإبداع في نظره هو عقدة أوديب تطبيقا على امرئ القيس، عقدة أوديب التي لاكتها الألسن كثيرا في بدايات التأثر العربي بالمناهج الغربية والتي ما فتئت تثبت محدودية إسقاطها على الأدب العربي. ناهيك عن اتهامها للناقد المدروس – ابن شرف – في استحقاره للشاعر سحيم بسبب نزعته الهجائية جراء ملاحاته لابن رشيق. والعارف بالناقد يعلم زيف ذلك.

– اتجاهات النقد في المغرب العربي بين القرن الرابع والقرن الثامن الهجري: إبراهيم عبد النور رسالة دكتوراه جامعة وهران تمثل هذه الرسالة دراسة جادة للنقد المغربي وتطبيقاته إلا أنها لم تتطرق إلى الجانب النفسي في تعامل ابن شرف مع الشعراء إلا بضع أسطر لا تفي الرجل حقه.

**1- التحليل النفسي عند الغرب:**

**1-1- فرويد (S-Freud): 1856م/1939م**

يعتبر المنهج النفسي من المناهج النقدية الحديثة المندرجة ضمن ما يعرف بالنقد الجديد الذي يهدف لتوجيه الاهتمام نحو المبدع أكثر من العمل الأدبي في حد ذاته إذ يستعمل هذا الأخير كوسيلة للوصول إلى المبدع عبر دراسته للسياقات الخارجية المحيطة به والتي تحمل أبعادا نفسية دالة وفق التحليل النفسي ويعتبر فرويد رائد مدرسة التحليل النفسي "وإن كانت الريادة لا تخلو أحيانا من مزالق ونقائص، إذ استطاع فرويد أن يرسم للجهاز النفسي الباطني خريطة أشبه ما تكون بالخرائط الطوبوغرافية"[3] فاستهلال المنهج النفسي بدأ معه بتحديده وتقسيمه لمكونات الجهاز النفسي وإعطاء تصور لوظيفة كل عنصر إذ حدد مكونات الشخصية كالتالي:

– "الشعور the consciousness: وتجرى فيه العمليات العقلية المدركة، ما قبل الشعور the preconscoused ويتواجد في مكان متوسط بين الشعور واللاشعور وتتم عبره المدركات التي لا يتوفر عليها الشعور، اللاشعور the onconxiousness ويحوي الغرائز الجنسية المكبوتة"[4].

فلكل مستوى من هذه العناصر دور يقوم به لتكامل النفس قبل العملية الإبداعية وأثناءها وبعدها فهي مقسمة حسب الطريقة الطوبوغرافية المثيرة إلى العمليات المتبادلة بين ثالوث الشخصية السالف ذكرها.

أما الجوانب المؤلفة للجهاز النفسي فهي حسب تقسيم فرويد:

الهو (ID/HO) والتي تجسد الجانب البيولوجي للشخص، الأنا (EGO) تخص الجانب الشعوري أي السيكولوجي، الأنا الأعلى (super-ego) وتتعلق بالأخلاق والمجتمع...[5] وتختلف أدوار هذه العناصر الثلاث من حيث العمل والقوة والتأثير وفق المؤثر الفعال الذي يحرك جانبا من هذه الجوانب في محاولة دائمة لعنصر الأنا (ego) لفرض التوازن والاستقرار بين العنصرين الآخرين ؛ حيث إن عمل هذه الأجهزة النفسية متكامل فيما بينها.

وقد بدأ فرويد في محاولة لفهم وتفسير عملية الإبداع انطلاقا من علم النفس الإكلينيكي العلاجي وفق ما يلاحظه على العينات البشرية التي كان يتعامل معها سبب الإبداع الأدبي الفني للنزعة الجنسية " فحتما إن عملية الإبداع تكون صدى لهذه النزعة الجنسية والتي تفسر بالكبت"[6].

فهذا الكبت يتشكل إثر وجود رغبة جنسية غير محققة يولد الحالة الإبداعية التي عبرها بطريقة غير مباشرة تستقر نفسية الأديب؛ يسمى فرويد هذه الرغبات اللاشعورية غير المحققة عقدا تتباين بين بعضها البعض مرجعا إياها في مصب واحد وهو الرغبة الجنسية "إذ هناك رغبة لاشعورية عند الابنة بأن تحل مكان أمها عند أبيها وتسمى عقدة الكترا، وأيضا رغبة الابن في حب أمه وأن يأخذ مكان أبيه وتعرف بعقدة أوديب"[7]، فكل من رغبة

الابن بأمه ورغبة البنت بأبيها تتعلق بالحاجة الجنسية التي يشترك فيها الجنسان ذكر/أنثى كونها فعلت بطريقة ما غير صحيحة بالنسبة للفرد السوي جنسيا ولأنها رغبات مكبوتة ومن الطابوهات المحرمة.

فالكبت عبارة عن حالة نفسية لاشعورية نتيجة تعرض الفرد إلى منبه مفعل فمعناه" مشتق من الجذر الخاص بالفعل –يكبت– الذي يعني القمع والإخفاء.."[8] فالمعنى يحوم حول فكرة الإخفاء الباطني الوجداني للمشاعر التي يوجد عائق يحول بينها وبين تحقيقها وهي آلية دفاعية تتم للولوج إلى الراحة النفسية لكن بطريقة مؤقتة ؛ فهذا الكبت حل ذاتي يلجأ له الفرد لتخطي والهرب من الاختلاجات المؤلمة الجنسية منها خاصة حيث تحوم جل أفكار فرويد حول الوظيفة الجنسية كونها الدافع الأول لتشكل أسرار النفس ومعظم نزواتها وحاجاتها وكل ما يتعلق بها منذ مرحلة الطفولة إلى المراحل اللاحقة بداية من علاقة الأم وطفلها " ففعل مص ثدي الأم نقطة انطلاق الحياة الجنسية بأسرها والمثال الأعلى لإدراك كل تلبية جنسية لاحقة[9] إذ هنا يحدث اللقاء الأول وتماس بين الطفل الصغير وجسم والدته التي تعتبر شخصا بالغا مكتمل المراحل الجسدية حيث هذه النظرة المادية المجردة والعلمية تنص على أن بداية تعرف الفرد على الطبيعة الجنسية تبدأ مع هاته اللحظة التي تعتبر في النهاية أمرا طبيعيا وضروريا في حياة كل إنسان سوي.

وقد قام فرويد بدراسة عدة أعمال فنية وأدبية لأشخاص معروفين لكي يصل إلى التحليل النفسي لأصحابها على نحو ما فعل مع ويليام شكسبير(SHAKESPEAR) عند دراسة أعماله الروائية والمسرحية من أهمها روميو وجوليت ومسرحية يوليوس قيصر، بالإضافة إلى تحليله لشخصية ليوناردو دافينشي بالاعتماد على لوحة الموناليزا ونفس الشئ مع تولستوي ودوستويفسكي، عبر تتبع أعمال هؤلاء، والنبش في أسرارهم الخاصة مرجعا تسامي أعمالهم إلى الغريزة غير المحققة، حيث "فسر الحلم الأول الذي راود تولستوي عبر رواية أنا كارنينا وما حصل لدافينشي من خلال أعماله المكتملة كالموناليزا"[10] فاعتماده على الإبداع المتسامي للمبدع يفسر به سبب تصرفات الشخصية المبدعة في الواقع وكيف أنها تتخذ من النص المكتوب آو الفنون التشكيلية والموسيقية مرآة عاكسة للحياة الحقيقية المملوءة بالصد والشك؛ حيث إن التعمق النفسي في شخصية تولستوي مثلا أفاض بأن هذا الأخير كان يعاني من عدة عقد سببها الفترة الزمنية التي عاش فيها وكيف كبلته عن تحقيق ما يريد.

### 2-1- كارل يونغ (C. YunG): 1875م/1961م

نهج يونغ طريقا مغايرا لمنهج أستاذه فرويد في تفسير العملية الإبداعية، إذ اهتم بالأنماط العليا الموجودة في اللاشعور الجمعي منذ العهود السحيقة الأولى" فمدرسة يونغ من أهم المدارس من حيث تأثيرها على الدراسات الأدبية الشعبية، لأن ما توصل إليه فيما يتعلق باللاشعور الجمعي قد استخدمه في تفسير الحكايات الشعبية تفسيرا نفسيا"[11] فالشعوب الأولى تتشارك في حملها لرواسب ثقافية ونفسية موحدة، ويختلف الأستاذ وتلميذه أيضا في طريقة إشباع الرغبات النفسية إذ يؤكد فرويد على ضرورة إشباعها عن طريق الأحلام وزلات اللسان أو الإبلاغ أو الإزاحة وغير ذلك من عناصر الدفاع أما يونغ فيؤكد على أن "الأنا الواعية إنما نشأت عن الحياة الأولى على سبيل المثال الطفل الصغير يعيش حياة نفسية لا يوجد فيها ما يدل على وعيه ولذلك لا يبقى في ذاكرته إلا الشيء القليل من السنوات الأولى لعمره"[12] فهو يقلل من أهمية فردية اللاشعور على حساب اللاشعور الجمعي ويشير إلى أنه المتحكم الأساسي بحكم أن الفرد جزء من المجتمع ويتصرف وفق قوانينه ولا يتعدى قواعده ومحذوراته.

**3-1- أدلر (A-ADLER): 1870م/1937م**

يعتبر يونغ ألفرد أدلر أحد أهم تلامذة فرويد إذ اتفق معه في نقاط وخالفه في أخرى، وأبرزها تغليبه لفاعلية اللاشعور الفردي على حساب اللاوعي الجمعي مقللا في نفس الوقت من أهمية النظرية الجنسية الليبيدية –التي حسب قوله– إن أستاذه قد تمادى فيها، ويرى ادلر أن" عقدة الجنس لا تفلح في تفسير الإبداع مع عدم رفضه للدافع الغريزي للإبداع، إذ يبحث أدلر عن مظاهر التعويض عن النقص في ضروب الفن ومظاهر الإبداع التي عرفت عنده بمصطلح (مركب النقص)"[13]. لم ينف أدلر فاعلية الغريزة الجنسية وفاعليتها المطلقة أثناء العملية الإبداعية، ولكنه في نفس الوقت يغلب كفة العنصر الفردي في إثبات الوجود، تحيز أدلر للفرد على حساب الجماعة كان نتيجة لعدة أسباب ذاتية تخصه نتيجة العجز الجسدي الذي كان يعانيه مما ساهم في اكتشافه طبيعة الأنا الفردية وقدرتها على بلوغ نصاب الكمال.

**2- التحليل النفسي لدى النقاد العرب القدماء:**

نلمح في تاريخ النقد العربي القديم بوادر تتعلق بدراسة النصوص الأدبية عامة والشعرية خاصة بقواعد تنظيرية للمناهج النقدية المعروفة اليوم؛ ويندرج المنهج النفسي ضمنها إذ نجد بواكير لمحات للأسس النفسية في النقد العربي القديم انطلاقا من البلاغة العربية واهتمامها بالمبدع حيث تعتمد مبدأ أن لكل مقام مقال.

**2-1- بشر ابن المعتمر 210هـ:**

يقول بشر ابن المعتمر في صحيفته "الإبداع متصل بحركة النفس التي تكون المنبع المستقى منه"[14] فالنواة الرئيسة المولدة للنتاج الفكري الإبداعي هي النفس بالدرجة الأولى والتهيؤ الذي يلبسها لحظة الكتابة فالإبداع هنا وصف وتجسيد مماثل لهذه الحالة النفسية التي ساهم في تفعيلها وقولبتها عدة عوامل وظروف داخلية وخارجية محددة لا تكرر مجددا و"... أصدر بشر بن المعتمر في صحيفته إعلانا في الخلق الفني في مجال الإبداع، وأراد به التدليل على بواكر الاتجاه النفسي"[15] حيث نسب الإبداع الفني بل وفسره مشيرا إلى المبدع كخالق لهذا النوع من الإبداع، ويمكن اعتبار هذا ملمحا واضحا للإشارة إلى نقد النصوص الأدبية نقدا نفسيا يعتمد على السياقات الخارجية دون إيلاء الاهتمام الأولي إلى النص بل يأتي في المرتبة الثانية بعد المبدع.

**2-2- ابن قتيبة 276 هـ:**

تطرق ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" إلى أهم القضايا النقدية التي تعلقت بعناصر الإبداع منها المبدع تحديدا المبدع الشاعر وما يعتريه من اختلاجات نفسية ووقع وجداني لحظة قوله ونظمه لشعره فيقول "...وللشعر دواع منها الطرب ومنها الطمع ومنها الغضب ومنها الشوق..."[16] ذكر ابن قتيبة هنا مختلف الحالات النفسية التي تصيب النفس البشرية من أحاسيس متباينة ومتأججة والتي ينظم الشاعر حسبها قصيدته وفق الغرض المتناسب مع كل حالة؛ فإن كانت نفسية الشاعر في مرتبة الشوق والحب نظم غزلا أما إن كان انفعاليا ويعتريه الغضب هجا وذم.ثم قس على ذلك.

ونلمح وجود تقابل في المعنى دون المصطلح بين ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" والجاحظ في كتابه "البيان والتبيين". فلفظة "الطبع عند ابن قتيبة تقابل ما سماه الجاحظ "الغريزة" وهي تعليل لقول الشعر إذ قد ينشأ عرض يعترض الغريزة فيؤثر هذا على الطبع، فالطبع يغلب على الطاقة الشعرية"[17] من الملاحظ أن ما ناقشه كل من الجاحظ وابن قتيبة يتناسب طرديا وفكرة فرويد حول الغريزة وأن معارضتها يولد ما أطلق عليه تفعيلا لعنصر الكبت فهذا هو منبع توليد الطاقة الشعرية التي يستعملها المبدع للقول.

**2-3- القاضي الجرجاني 366 هـ:**

ناقش عبد العزيز القاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" أهمية التجلي الإبداعي النفسي للمبدع وتحكيم النقد الأدبي اعتمادا على التأثر النفسي الذي يحمله النص الأدبي الحامل بين أسطره تأويلات نقدية تسمح بتمييز الشعر جيده من رديئه، والمفاضلة بين الشعراء إذ نلمح هذا في قوله "يرق شعر أحدهم أحيانا، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق. فإن سلاسة اللفظ تتبع سلاسة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك، وأبناء زمانك، وترى الجاف الجلف منهم كز الألفاظ، معقد الكلام، حتى أنّك ربّما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته وفي جرسه ولهجته"[18] من الواضح أنّ إقامة التآلف بين اللفظ والمعنى يرجع إلى الحالة النفسية المصاحبة والدفقة الانفعالية التي تعتري الشاعر حين نظمه قصيدته وهو يختار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المنشود؛ حيث تختلف جودة السبك من شاعر إلى آخر نظرا للخصائص الفنية واللغوية والنفسية ذات الخصوصية المرافقة لكل شاعر، فقد نجد نفس الشاعر المجيد لنظم أبرع الألوان الشعرية في غرض ما ويفشل في أخر كونه لم يكن ملائما لحالته النفسية فعلى سبيل المثال قد لا يبرع معظم شعراء المدح في الهجاء وقس على هذا.

**2-4- عبد القاهر الجرجاني 417 هـ:**

ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابيه" دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة " الملامح النفسية للنقد إثر مناقشته للقضايا البلاغية معتمدا على الأفكار الفلسفية الإغريقية بالأخص يقول: "إذا رأيت البصير بجوهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا... وكلام حلو رشيق وحسن أليف، وعذب سائغ وخلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك من أحوال ترجع إلى أضراس الحروف وإلى ظاهرة الوضع اللغوي بل إلى أمر يقع من المرء من فؤاده"[19] هنا يلمح إلى أن تقادح القلوب وتناقح العقول هو ما يولد ويشكل الهيئة اللغوية للعمل الإبداعي أي بمعنى الإشارة إلى الفؤاد معتبرا إياه منبع التوجسات النفسية المحددة لنظم الطابع اللغوي وبهذا تعتبر مجهوداته ضمن أهم الدراسات المنيرة للتحليل النفسي رغم توجهها الفلسفي في بعض الأحيان إذ ينسب له الفضل في ذلك إضافة للناقدين السالف ذكرهما فهم من أهم المبادرين إلى إثراء التفكير النقدي النفسي انطلاقا من الخلفية العربية.

**2-5- ابن رشيق القيرواني 456هـ:**

تطرق ابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة في محاسن الشعر" إلى المؤثرات النفسية التي تمس الشاعر لحظة إبداعه مؤكدا على فاعلية العاطفة وتأثيرها على لحظة اختيار الغرض الشعري " فمن أراد المديح فبالرغبة، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق... ومع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق"[20]. يوضح هذا أن الشعور العاطفي يغلب أثناء الإبداع، فهو الذي يحدد ماهية هذا الأخير سواء كان إبداعا مدفوعا بالرغبة المتفائلة التي عندها يقصد الشاعر باب الأغراض المتعلقة بالمدح مثل الغزل ونحو ذلك أو الأغراض الأخرى المحمولة على الكره والذم والهجاء وما شابه ذلك.

**3- ابن شرف والتحليل النفسي:**

على خلاف من جاء قبله لم يكتف ابن شرف بذكر العوامل النفسية المساعدة على قول الشعر بل عمد إلى تقديم نماذج من نصوص شعراء لهم باع طويل في ميدان الشعر وحُكِم لهم بالإجادة والأولية. ونحاول فيما يلي أن نعرض لهم كما ورد في كتابه:

**3-1- أمرؤ القيس:**

صدر ابن شرف كلامه عن امرئ القيس بأن قال: "هذا امرؤ القيس أعظم الشعراء عصرا، ومقدمهم شعرا وذكرا وقد اتسعت الأقوال في فضله اتساعا، لم يفز غيره بمثله، حتى أن العامة تظن بل توقن أن جواد شعره لا يكبو، وحسام نظمه لا ينبو"[21]. ثم يعرج بعد ذلك على ذكر مآخذ امرئ القيس فيرى في قوله:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة **** فقالت لك الويلات إنك مرجلي

أن الشاعر كان في غنى عن الإقرار بهوانه على معشوقته "فما كان أغناه عن الإقرار بهذا وما أشك غفلته عما أدركه من الوصمة به وذلك أن فيه أعدادا كثيرة النقص والبخس، منها دخوله متطفلا على من كره دخوله عليه، ومنها قول عنيزة له لك الويلات، وهي مقولة لا تقال إلا لخسيس، ولا يقابل بها رئيس. فإن احتج بأنها كانت أرأس منه. قيل له: لم يكن ذلك، لأن الرئيسة لا تركب بعيرا يدرج أو يموت إذا ازداد عليه ركوب راكب، بل هو بعير فقير حقير"[22] ومن ثم يحمل على الشاعر الذي أتى بما يأنف عنه كل ذي مروءة فقد دخل على من لا يرغب في دخوله، وتلقى من المهانة ما لا يستسيغه من كان في منزلته، فضلا عن نزوله عن مرتبة الأمراء ليتغنى بامرأة حقيرة فقيرة، وإدراكا من الناقد أن هناك من يحتج للشاعر إذ الحب لا يؤمن بالفوارق الاجتماعية يرد فيقول:" فإن احتج بأنه صبر على القول من أجل أنها معشوقة قيل له، وكيف يكون عاشقا لها من يقول لها:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا **** فألهيتها عن ذي تمائم محول

وإنما المعروف للعاشق الانفراد بمعشوقته، واطراح سواها كالقيسين في ليلى ولبنى، وغيلان بمية، وجميل ببثينة، وسواهم كثير. فلم يكن لها عاشقا بل كان فاسقا"[23]. أضف إلى ذلك تعلله من هجرها بإتيان الحبلى والمرضع، وما جبل الله النفوس على النفور منهما: "فأما الحبلى فقد جبل الله النفوس على الزهد في إتيانها، والإعراض عن شأنها، منها أن الحبل علة وأشبه العلل بالاستسقاء، ومع الحبل كمود اللون، وسوء الغذاء، وفساد النكهة، وسوء الخلق، وغير ذلك ولا يميل إلى هذا من له نفس سوقي، دع عنك نفس ملوكي"[24]

وينطلق ابن شرف إلى موضع آخر من قصيدة أخرى يقول فيها امرؤ القيس:

سموت إليها بعد ما نام أهلها **** سمو حباب الماء حالا على حال

فقالت لحاك الله إنك فاضحي **** ألست ترى الناس والسمار أحوالي

حلفت لها بالله حلفة فاجر **** لناموا فما إن حديث ولا صالـــي

ويستغرب كيف يرضى قولها "لحاك الله" وهذا يدل على أنه غير مرغوب فيه " فأخبر ههنا أنه هين القدر عند النساء وعند نفسه برضاه قولها "لحاك الله". فحصل على لحاك الله من هذه ولك الويلات من تلك. فشهد على نفسه أنه مكروه ومطرود، غير مرغوب في مواصلته، ولا محروص على معاشرته، ولا مرضي بمشاكلته"[25].

ومنه يخلص ابن شرف إلى أن الغزل الماجن لدى امرئ القيس ينبع من حالة نفسية تملي عليه هذا العنت في استذكار قصص لهوه التي ليست إلا ادعاء من الشاعر تعويضا عن كبت وحرمان لازماه "وإنما سهل عليه كل هذا حرصه على ما كان ممنوعا منه، وذلك أنه كان مبغضا إلى النساء جدا، مفروكا ممن ملك عصبتها لأسباب كثيرة ذكرت، وكل من حرص على نيل شيء فمنع منه، ادعاه قولا"[26].

**3-2- زهير بن أبي سلمى:**

افتتح ابن شرف نقده لزهير بأن غلطه في تشبيهه للموت بالناقة العشواء وأجرى على ذلك ما رآه انحرافا من زهير عما يوجبه العقل،ثم يتعقب سقطاته ويرد عليه حكمه المأثور في قوله:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه *** يهدم ومن لم يظلم الناس يظلم

فذهب إلى أنه تجاوز بحقه الباطل،لأن الظلم مراكبه وعرة وعواقبه مذمومة في الجاهلية والإسلام، فحرض في شعره عليه، فإن كان عنى أن الظالم يرهب فلا يظلم، فهذا قياس فاسد وأصل لا يقاس عليه، لأن من هو أضعف منه قد يرهبه وينتقم منه بالحيلة والمكيدة[27] ولا يتوقف ابن شرف عند هذا بل يطعن في أذواق النقاد الذين استحسنوا بيت زهير في المديح:

تراه إذا ما جئتـــه متهـــللا *** كأنك تعطيه الذي أنت سائله

يقول: "مدح بها شريفا أي شريف، فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئا من عرض الدنيا إليه. وليس من صفات النفوس العارفة السامية، والهمم الشريفة العالية، إظهار السرور إلى أن تهلل وجوههم وتسر نفوسهم بهبة الواهب، ولا شدة الابتهاج بعطية المعطين، بل ذلك عندهم سقوط همة وصغر نفس[28]. ويرى ابن شرف أن زهيرا قد اغتر هو ومن استحسن بيته بما جبلت عليه أنفسهم من حب العطاء، وما جرت عليه عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء[29].

**3-3- الفرزدق:**

بعد أن أفاض ابن شرف في الحديث عن امرئ القيس يحاول إثبات نظرته إلى الحافز النفسي في الإبداع، بذكر شعراء آخرين أولهم الفرزدق يقول: "وكل من حرص على نيل شيء فمنع منه فعلا ادعاه قولا. وله أشباه فيما أتاه، يدعون ما ادعاه، إفكا وزورا، وكذبا وفجورا. منهم الفرزدق"[30] ويشنع عليه البيت:

هما دلتاني من ثمانين قامة **** كما انقض باز أقتم الريش كاسره

وقال معترضا عليه:

"وكان مغرما بالزنا مدعيا فيه، وقد بلي بموانع تصدفه عنه، منها ماشهر به من النميمة بمن ساعده، والادعاء على من باعده، ومنها دمامته، ومنها اشتهاره، والمشهور يصل إلى شهوة يتبعها ريبة، فكان يكثر في شعره من ادعاء الزنا، واستدعاء النساء، وهن أغلظ عليه من كبد بعير، وأبغض فيه وأهجى له من جرير"[31].

يعدد ابن شرف الموانع التي تحول بين الفرزدق والنساء فهو فاسق هتاك للحرم، قذاف للمحصنات[32]، لم تصبر عليه إلا النوار بنت عمه، وهذه الصفات أمارة من أمارات التمرد والتنمر* الذي نلمحه في جميع أخبار الفرزدق. فقد روى صاحب الأغاني عن خالد بن كلثوم الكلبي أنه مر بالفرزدق فأجلسه إلى جانبه، فتعوذ بالله من شره خوفا منه فقال له: أنشدني بعض أشعار ابن المراغة في، يعني جريرا، فجعلت أنشده حتى انتهيت، ثم قال فأنشد نقائضها التي أجبته بها فقلت ما أحفظها فقال يا خالد أتحفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضها؟ والله لأهجون كلبا هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة إن لم تقم حتما تكتب نقائضها وتحفظها وتنشدنيها. فقلت أفعل فلزمني شهرا حتى حفظت نقائضها وأنشدته خوفا من شره[33]. ولعل هذا ما أشار إليه ابن شرف من ادعائه على من باعده، أما دمامته فقد ورد في قصته مع ظمياء المنقرية إذ صدته بعد أن راودها عن نفسها ثم يعمد إلى هجوها مفتخرا بنفسه:

وأهون عيب المنقريـــة أنهـــا **** شديد ببطن الحنظلي لصوقها

رأت منقرا سودا قصارا وأبصرت **** فتى دارميا كالهلال يروقهـــا

فما أنا هجت المنقريـــة للصبـا **** ولكنها استعصت عليها عروقها

فاستعدى عليه قومها زياد فهرب إلى المدينة وعليها سعيد بن العاص فأمنه وأجاره[34]

**3-4- سحيم عبد بني الحسحاس:**

يقف ابن شرف وقفة نفسية ف "يعتبر النص الأدبي، وثيقة نفسية يؤدي دور المطهر من المكبوت، المتسلط على ذات المبدع ليكون بذلك متنفسا يتخلص به الأديب من عقده أو رغباته المكبوتة[35] ومحاولة منه في تطبيق هذه النظرة على الشاعر سحيم يرمي سهام الاحتقار والازدراء لهذا الشاعر يقول:" وخذ أطرف هؤلاء الأجناس، وهو سحيم عبد بني الحسحاس، أسيود في شملة، دنسة قملة، لا يؤاكله الغرثان، ولا يصاليه الصرد العريان، وهو مع ذلك يقول:

وأقبلن من أقصى البيوت يعددني **** نواهد لا يرون خلقا سوائيا
يعدن مريضا هن هيجن ما بـــه **** ألا أنما بعض العوائد دائيا
توسدني كفا وتحنو بمعصـــــــم **** علي وترمي رجلها من ورائيا"[36].

ويرى أن لو أخلى الله البسيطة من خلقه، لما كان هذا العبد إلا كبعرة بعير أو أدنى فكيف والحال على غير ما يرتضي، أن تفتح النساء له قلوبها وأن يحظى بقربهن. ويستشهد ابن شرف على ادعاء سحيم في وله النساء به بأن ضرب له مثلا ممن سبق فهذا "المرقش الأكبر كان من أجمل الرجال، وكانت للنساء فيه رغبة، وشدة محبة، وكان كثير الاجتماع بهن والوصول لهن، وله في ذلك أخبار مروية، ولم يكن في أشعاره صفة شيء من ذلك، فحسبك بذلك صحة على ما قلناه"[37]

**خاتمـــة**

توصل الناقد من خلال قراءته لأبيات امرئ القيس، والفرزدق، وعبد بني الحسحاس، إلى أنهم يعانون من مركب نقص وهي "عقدة الخجل من الذات، أي أن الفرد يعي بنوع من العجز (الصحي أو الذهني أو الاجتماعي) أو شعوره المزعج بعدم الكفاءة، أو بتأكيده بأنه ليس على المستوى اللازم وأنه معرض للفشل.. كل ذلك يجمع إليه اعتقاده بأن الآخر هو حكم حقود ويهزأ به"[38].

ويصرح ابن شرف برأيه قائلا: "والممنوع من الشيء حريص عليه مدع فيه" أي أن كل من حرص على نيل شيء فمنع منه فعلا ادعاه قولا، والمقصود بالادعاء هو الكذب والتزوير في الحقائق، وتلك معالم عقدة التعويض، إذ يستغل الفرد كل المناسبات ليعلن عن نمطه الاستعلائي، وبذلك يحاول أن يلفت إليه الانتباه بشتى الأساليب، يريد أن يظهر للآخرين بأنه الأذكى والأجمل، والأكثر لباقة، وأفضل من الآخرين، فهو ينظر إلى كل الناس على أنهم أقل منه شأنا فيسخر منهم، ويقلل من اعتبارهم، ومن هنا تبرز عقدة التكبر، وهي عقدة عكسية تخلص الأنا من عذابها تجاه عقدة النقص الذاتية[39].

**الهوامش:**

**1-** سيد قطب، 2003، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط 08، القاهرة، ص 207.

**2-** محمد مرتاض،.النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره دراسة وتطبيق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 192.

**3-** زين الدين المختاري: المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد أنموذجا، منشورات اتحاد الكتاب، 1997، ص 09.

**4-** سيغموند فرويد ووليام شتيكل، الكبت تحليل نفسي، تر علي السيد، المكتبة الشعبية، القاهرة، 2001، ص 46.

**5-** سيغموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، تر: سامي محمد وعلي عبد السلام النقاش، مكتبة الأسرة للنشر والتوزيع، مصر، 2000، ص 27.

**6-** محمد صابر حمدان: قضايا النقد الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1991، ص 97.

**7-** المرجع نفسه، ص 98.

**8-** شاكر عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة خاصة، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص 52.

**9-** كمال وهبي وكمال أبو شهدة، مقدمة في التحليل النفسي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط 1، 1997، ص 80.

**10-** سيغموند فرويد، الانا والهو، تر. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط 4، 1982، ص 26.

**11-** أمينة فزاري، مناهج دراسة الأدب الشعبي المناهج التاريخية والنفسية، دار الكتاب الحديث، مصر، ط 1، 2011، ص 191.

**12-** كارل، غ، يونغ، علم النفس التحليلي، تر: نهاد خياطة، الحوار للنشر والتوزيع السورية، ط 2، 1997، ص 07.

**13-** أحمد أبو أسعد وسامي الختاتنة، اتجاهات علم النفس، دار عالم الكتب، الأردن، 2011، ص 53.

**14-** طالب محمد إسماعيل:مقدمة في النقد العربي التطبيقي،دار المنوز المعرفية، ط 01،عمان، 2012، ص 90.

**15-** سعد حسون العنكبي، الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، دار دجلة، عمان، 2008 ص 52.

**16-** ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ج 01 القاهرة ط 02، 1982، ص 78.

**17-** إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر، عمان، ط 01، ص 98.

**18-** القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 01، 2006، ص 24.

**19-** عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،تح:محمد الفاضلي،المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ص 09.

**20-** ان رشيق القيرواني:العمدة، تح:محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، مصر، ط 1981،5، ص 120-122.

**21-** ابن شرف القيرواني رسائل الانتقاد تح: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت 1983 ط 01، ص 40.

**22-** المرجع نفسه.

**23-** المرجع نفسه، ص 41.

**24-** المرجع نفسه.

**25-** المرجع نفسه، ص 42.

**26-** المرجع نفسه، ص 43.

**27-** المرجع نفسه، ص 48-49.

**28-** المرجع نفسه.

**29-** المرجع نفسه، ص 50.

**30-** المرجع نفسه، ص 43.

**31-** المرجع نفسه.

**32-** المجروحين لابن حيان تح: محمود ابراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ج 02، ص 204.

* فعل سلوكي مضاد يحدث في حال الشعور بفقدان الحرية.

**33-** الأغاني ج 19، ص 11.

**34-** أبو جرير الطبري.تاريخ الأمم والملوك،ج 6، ص: 34-140.

**35-** مصطفى السيعدني، تأويل الشعر، قراءة أدبية في فكرنا النحوي ص: 05.

**36-** ابن شرف القيرواني رسائل الانتقاد. ص: 43

**37-** المرجع نفسه، ص: 44.

**38-** روجيه موكاليه، العقد النفسية: ص 27.

**39-** المرجع نفسه، ص: 49.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**1-** إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر، عمان، ط 01.

**2-** احمد أبو أسعد وسامي الختاتنة، اتجاهات علم النفس، 2011، دار عالم الكتب، الأردن.

**3-** الاصفهاني أبو فرج. الأغاني، تح: أحمد الشنقيطي، مكتبة التقدم، مصر، ج 19.

**4-** فزاري أمينة، مناهج دراسة الأدب الشعبي المناهج التاريخية والنفسية، دار الكتاب الحديث، مصر، ط 1، 2011.

**5-** الجرجاني علي بن عبد العزيز (392)، 2006، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، ط 01، بيروت.

**6-** الجرجاني عبد القاهر (471 هـ)، 2003، أسرار البلاغة، تح:محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت.

**7-** حمدان محمد صابر: قضايا النقد الحديث، 1991، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1.

**8-** ابن حبان محمد (354 هـ)، كتاب المجروحين من المحدثين، 1992، تح: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت،ج 02.

**9-** ابن رشيق القيرواني (463 هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر، ط 05، القاهرة. 1981.

**10-** روجيه موكاليه، العقد النفسية، تر: موريس شربل، منشورات عويدات، ط 01، باريس بيروت، 1988.

**11-** السعدني مصطفي. تأويل الشعر، قراءة أدبية في فكرنا النحوي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1992.

**12-** سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه. دار الشروق، ط 08، القاهرة، 2003.

**14-** شاكر عبد الحميد: الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة خاصة، 1992، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب.

**15-** ابن شرف القيرواني (460 هـ) رسائل الانتقاد، تح حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، ط 01، بيروت، 1983.

**16-** سيغموند فرويد، الانا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط 4.

**17-** سيغموند فرويد ووليام شتيكل، الكبت تحليل نفسي، تر علي السيد، المكتبة الشعبية، القاهرة، 2001.

**18-** سيغموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، تر: سامي محمد وعلي عبد السلام النقاش، مكتبة الأسرة للنشر والتوزيع، مصر، 2000.

**19-** ابن قتيبة أبو محمد عبدالله (276 هـ)، الشعر والشعراء، 1982، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط 02، القاهرة.

**20-** وهبي كمال وكمال أبو شهدة، مقدمة في التحليل النفسي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط 1، القاهرة، 1997.

**21-** المختاري زين الدين: المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد أنموذجا، منشورات اتحاد الكتاب، 1997.

**22-** يونغ، كارل،غ، علم النفس التحليلي، تر: نهاد خياطة، الحوار للنشر والتوزيع السورية، دمشق، ط 2، 1997.